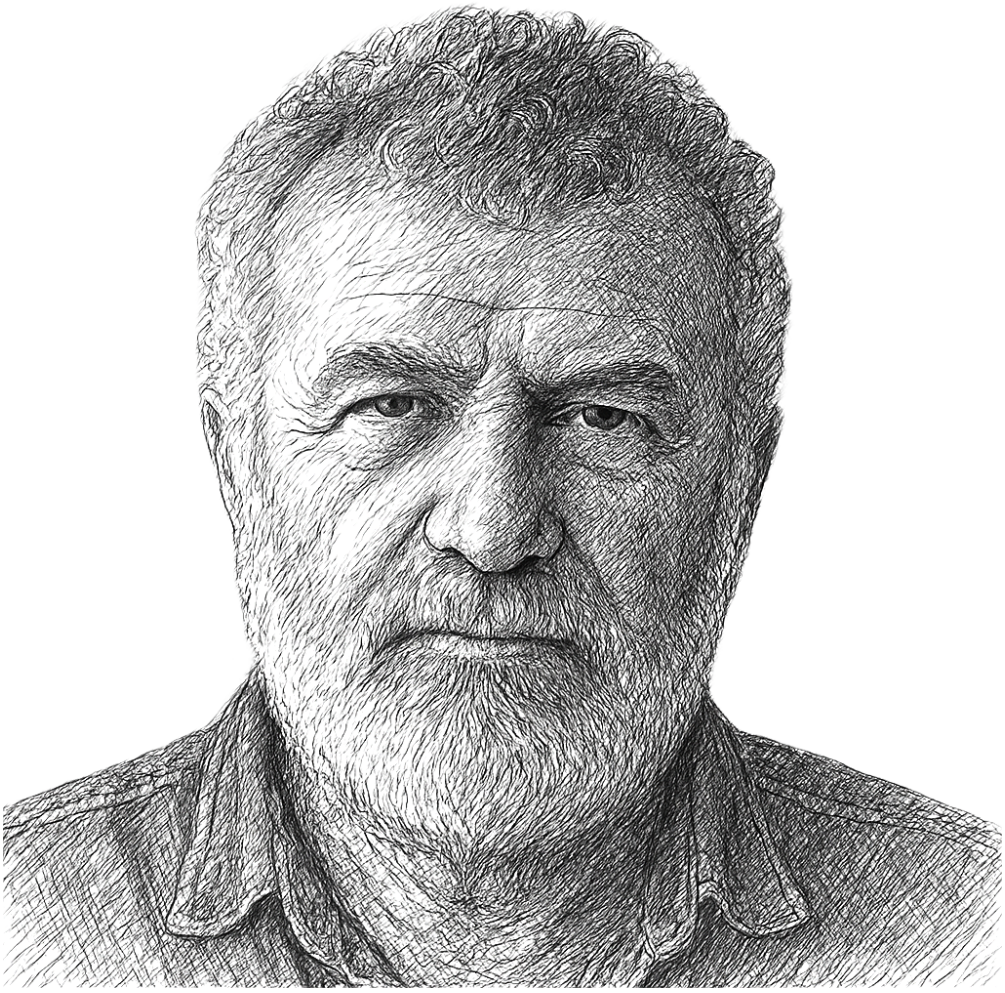

ثائر ديب: الفكر والممارسة في رهانات الترجمة عربياً

ياسمين قعدان، فلسطين

تلقي هذه البطاقة الضوء على سياق الترجمة عربياً من خلال تتبُّع مساهمات ورؤى المترجم ثائر ديب. وتأتي هذه المحاولة لفرد طيَّات نظرية متعدِّدة عن الترجمة بشكلٍ عام، وعن أثر الممارسة والتفكيك في ترجمة النصوص وتحويلها ونقلها ليس فقط لغوياً، بل عبر السياقات التاريخية والاجتماعية والثقافية. تتناول البطاقة مساهمات ديب الخبراتية في مشاريع الترجمة العربية، والتي يقدِّم من خلالها مساهماته الفكرية عن الترجمة وسياساتها، والرساميل التي تلحق تشكيل ترجمة لامتكافئة في سياق الرأسمالية العالمية التي تهيمن على حقل الترجمة. كما وتضيء البطاقة على حقل الترجمة العربية من خلال تجربة ديب، والفاعلين في الحقل نقداً وتأملاً في التغييرات التي تتبَّعها المترجم لأكثر من قرن ونصف القرن منذ عهد محمد علي، والتغييرات الراهنة والمأمولة التي يشير إلى ضرورة إحداثها. وتشتمل البطاقة كذلك على قائمة بالكتب التي قام ديب بترجمتها إلى اللغة العربية حتى اللحظة.

مقدمة تنافذية إلى الترجمة

تحيل كلمة "الترجمة" للوهلة الأولى وفي دلالة مباشرة إلى كونها عملية نقل لغوي، وقد تكون بالحالة الوصفية، إلا أن الترجمة تحمل طيَّات عديدة تتجاوز كونها محض إجراء تقني للتواصل اللغوي، وذلك عندما تنفتح كحقل وممارسة وفاعلين. وقد كانت النظرة التقليدية للترجمة على أنها فعل محايد وتقني تُعنى بنقل المعنى بين اللغات بصورة تجعل النصوص "متكافئة" لغوياً، وأنها كاسرة للحواجز اللغوية في ترجمة الأفكار، وقد كانت أساساً في عصور معينة لنقل الثقافات وتنوُّع المعطيات المعرفية. ومع ذلك، فقد شكَّكت نظريات نقدية عديدة (مثل: نظريات ما بعد الاستعمار، وما بعد البنيوية، والأنظمة المعرفية الأصلانية) في هذا التصوُّر التقليدي من خلال مراجعة الطبيعة السياسية، والسياقية، والسلطوية للترجمة. وتبعاً لهذه النظريات، توزَّطت الترجمة، من ناحية، بالاستعمار وبإعادة إنتاجه عبر كونها متمركزة في خطابه وفرض هيمنته على الشعوب المستعمَرة من خلال خلق لغة متجانسة تُذوِّت الخضوع عند المستعمَر باعتماد مفردات معينة دائمة التكرار كـ "العاجز، و"الغامض"، و"الآخر"، و"الشرقي"، و"الطفولي"، و"المتوحش".[1] ومن ناحية أخرى، تشير بعض النظريات إلى أن الترجمة تُعَّد

أيضاً، بعد أن تخضع للتفكيك، وسيلةً للتفاوض، ومقاومة المركزيات المهيمِنة، وتقديم السياقية على النصية، وتفعيل التنوُّع الهويَّاتي من خلال فضاءات الهُجنة الثقافية.[2] ولذا، ستتناول هذه البطاقة، بالإضافة إلى غايتها التعريفية بالمترجم الموسوعي ثائر ديب، العديد من هذه الأطروحات، سواء من ناحية القابلية للترجمة، والترجمة الحرَّة، والترجمة اللامتكافئة، والترجمة المقاومة.

إذا قمنا بفرد بعض من هذه الطيَّات الخاصة بتراكم النظريات والرؤى حول الترجمة، دون شيطنتها أو تبرئتها أو تقديسها، يمكن القول إن هناك بعض النظريات المؤثِّرة في حقل الترجمة، والتي تُستحضر حتى اليوم بما يخص النصوص المترجَمة والمترجمين. ومن ذلك، أن مساهمة والتر بنيامين في مقالته "مهمَّة المترجم"[3] تقدِّم لنا تصوراً بَعدياً عمَّا يعنيه النص المترجَم. فأيُّ ترجمة تلتزم بكونها نقلاً للمعلومات ما هي إلا ترجمة رديئة بحسب بنيامين، لأن كل نص يحتوي على أمر غامض وخفي حَدِّ أن يكون "شعرياً"، ولن يتبدَّى هذا الأمر للمترجم الذي يجعل نفسه خادماً للقارئ والمقاصد اللغوية للنص. وقد رفض بنيامين فكرة الترجمة "المثالية"، أي تلك الترجمة التي تُحاكي النص الأصلي بدقة في اللغة. وبدلاً من ذلك، اقترح الترجمة الفعَّالة حقاً التي تهدف إلى النقاء، وهو مفهوم عرَّفه لا من حيث الأمانة اللغوية، بل من حيث الكشف عن "اللغة الخالصة" المتأصِّلة في النص الأصلي. هذه "اللغة الخالصة" ليست لغة الكلام اليومي، بل جوهر لغوي أعمق وأكثر حسِّية، وهو المخبَّأ بين زوايا النص الأصلي، ويُشكِّل أساس معنى العمل وعلاقته بالتجربة الإنسانية الأوسع. وفقاً لبنيامين، يعمل المترجم كوسيط بين اللغات والثقافات، وهو لا يقوم بنقل الكلمات فحسب، بل يكشف عن الإمكانات الكامنة في النص الأصلي، ما يسمح له بالازدهار في سياق لغوي وثقافي جديد يطيل أمد الحياة للنصوص الأصلية. تتطلَّب هذه العملية فهماً عميقاً للغات والثقافات المعنية، بالإضافة إلى تفاعل عميق مع روح المؤلف الأصلي ومقصده.[4] إن تدخل المترجم، بعيداً عن كونه خيانةً للأصل، يُسهم بفعالية في تأويله وإعادة تأويله المستمرين، ما يثري معناه للقراء المستقبليين. يستبق هذا النهج نظريات الترجمة اللاحقة التي تركِّز على التفاعل الديناميكي بين النص الأصلي والنص المترجم والذاتية المتأصلة في عملية الترجمة المعقدة وفي الوقت نفسه مُوِّلدة. وكما يشير عبد الرحيم الشيخ عن ممارسته الترجمية لحسين البرغوثي، فإن الترجمة، التحويلية لا الحرفية، هي التي تتمكَّن من مسِّ الجوهر الشاعري مثلما يقبِّل مماسٌّ دائرة بخفة وفي نقطة واحدة، وعلى نحو سرمدي، كما وأن ناتج الترجمة التحويلية، يصلح لأن ينتمي للنوع الذي وصفه محمود درويش بـ"النثر الإلهي" الضروري لانتصار الرسول.[5]

وصل أثر بنيامين إلى جاك دريدا الذي حاول توسيع مقاصد بنيامين عن الترجمة وربما التحليق معه، وقد أكَّد على عدم استقرار المعنى واستحالة المطابقة الكاملة بين الأصل والترجمة، ذلك أن المعنى دائماً ما يؤجَّل ويتحوَّل، وأن الترجمة تتطلَّب دائماً نوعاً من التأويل الذي يخضع لحدود اللغة وتحوُّلاتها. إن هذا المنظور يدعو إلى الاعتراف بأن الترجمة ليست مجرد نقل لغوي، بل عملية تأويلية تتفاعل مع حدود اللغة وتقلُّباتها، وهي عملية نمو مستمرة وليست إعادة إنتاج. ولربما يوقعنا دريدا في تناقض ومتاهة إذ إن كل شيء قابل للترجمة، وفي نفس الوقت لا شيء قابل للترجمة، وأن نفكر بشكلٍ متواصل متى يمكن للنص أن يكون قابلاً للترجمة، فهو يتساءل مع بنيامين عن الأمل بإمكانية أن يكون هناك لغة "خالصة."[6]

وفي حال لم تكن هناك لغة خالصة في الترجمة، فإن أمبرتو إيكو يطلب منا أن نفاوض، وأن نتخلَّى أو نستغني لنحصل على شيء آخر، فالإمكانية في الترجمة هي نقل تقريبي "أن نقول الشيء نفسه تقريباً." يرى إيكو أن الترجمة فيها أطراف كثيرة معنية بعملية التفاوض، سواء من ناحية النص الأصلي (المصدر)، والمؤلف الذي قد يُخضع المترجم للرقابة، والثقافة التي ظهر منها النصُّ المصدر، والثقافات التي سينتقل إليها، بالإضافة إلى توقُّعات القرَّاء المحتملين، وصناعة النشر وقواعدها.[7] ويكثِّف إيكو معنى الترجمة بالقول: "أن نفهم النظام الداخلي للغةٍ ما وبنية النص المكتوب في تلك اللغة، وأن نصنع نسخةً من النظام النصي يمكنها، تحت وصفٍ ما، أن تخلق لدى القارئ أحاسيس مماثلة سواء على المستوى الدلالي والتركيبي أو على المستوى الأسلوبي والنظمي والرمزي–الصوتي، وجميع المؤثرات العاطفية التي كان يهدف إليها النص المصدر."[8]

أما أنطوان برمان، فيعرِّف الترجمة بأنها طاقة للخلق وحيِّز للإنصات والتحاور والتفاعل، ويمكنها أن تكون مكاناً لاستقبال الغريب (المتمثِّل بلغة الآخر الأجنبي وثقافته)، ويتعيَّن عليها مناهضة النزعات المركزية العرقية والثقافية. لقد عمل برمان على بلورة تصوُّرٍ مناهض للتمركز العرقي في الترجمة بغرض الحفاظ على غرابة النص الأصلي. وهو يعرِّف لنا الترجمة المتمركزة عرقياً بأنها الترجمة التي تُرجع كل شيء إلى الثقافة الخاصة بالمترجم وإلى معاييرها، معتبرةً كل ما يخرج عن إطارها (أي كل ما هو غريب) "سلبياً"، يتعيَّن إخضاعه وتحويله إلى المساهمة في إغناء هذه الثقافة.[9] ويساهم برمان في هذا الحقل أيضاً بشكل متواصل مع المفهوم الأول، عبر مفهوم "الترجمة الحرف" والتي تعتمد على مبدأ أساسي، وهو ترجمة العمل الأجنبي بشكل لا يجعلنا نشعر أن الترجمة قد حدثت، أي بشكل يعطي الانطباع بأن المؤلف كان سيكتب الشيء نفسه، لو أنه كتب نصَّه باللغة المترجمة. ولذا، فإن الترجمة الحرفية، غير المتمركزة عرقياً، تقتضي عملاً دؤوباً على اللغة المترجمة كما تقتضي إبداعية من طرف المترجم، فالحرفية بهذا المعنى تشتغل على مستوى نسق اللغة ونسق النص. وعلى ذلك، فالترجمة الحرفية لا تعيد إنتاج الأصل المصطنع، بل المنطق المتحكِّم في هذا الاصطناع، وهو ما دعاه برمان بالغاية النهائية لهذه الترجمة ذات الأبعاد الأخلاقية والشعرية والفلسفية.[10]

تأثَّر بول ريكور بأطروحة برمان حول "محنة الغريب"، بكونها تقدِّم علاقة الذاتي بالأجنبي، وتقودنا، تحت طائلة الصعوبات والنقائض التي تثيرها الترجمة، من لغة إلى أخرى. يرى ريكور أن عمل الترجمة قد تم كسبه أخيراً بعد مقاومات حميمية يحركها الخوف، وحتى الحقد على الأجنبي الذي يُنظر إليه كأنه تهديد موجَّه ضدَّ هويتنا اللغوية الخاصة.[11] ويضيف ريكور أنه لا طائل من الوقوع في فخ القابل للترجمة وغير القابل للترجمة، بل أن نراها من منحى الأمانة والخيانة، حتى لو أدى ذلك إلى الاعتراف بأن ممارسة الترجمة تبقى دائماً عملية مجازفة بحثاً عن نظريتها، وهذا ما يطلق عليه "الرغبة بالترجمة."[12] ولاختتام هذا القسم، لا بدَّ من الإشارة إلى مساهمة أعمَّ للكاتب جورج شتاينر عن أن أيَّ عملية تواصُل هي ترجمة. يستكشف شتاينر الطبيعة المعقدة للترجمة، مؤكداً على أبعادها الفلسفية والثقافية العميقة، ذلك أن مصطلحات التواصل والفهم والترجمة تكاد تكون مترادفة، فالتواصل قائم على الفهم، والفهم لا يتحقق إلا من خلال عمليات الترجمة عبر الأزمنة والأمكنة والحدود المختلفة. ويرى شتاينر أن الترجمة متأصلة في الحالة الإنسانية الأساسية للتواصل، والذي يتضمن بطبيعته الفقدان والاندماج والتحول. وبالتالي، لا ينبغي فهم الترجمة كمجال هامشي في نظرية اللغة، بل هي في حدِّ ذاتها المجال الأساسي وحجر الزاوية

لكل نظرية لغوية.[13] ويؤكد على أن الترجمة المثالية تكاد تكون مستحيلة بسبب الاختلافات في اللغة والثقافة والسياق، ومع ذلك تظل فعلاً ضرورياً يُسِّهل تبادل المعنى عبر الحدود اللغوية. يقدم شتاينر مفهوماً عن "التسوية اللغوية"، والذي يقترح أن تتضمن عملية الترجمة تقليل الفروق بين اللغتين، المصدر والمستهدف، غالباً ما تؤدي إلى قمع الفروقات الثقافية الفريدة. وبالإضافة إلى ذلك، يؤكِّد على دور الشاعر في الترجمة باعتباره عملاً إبداعياً يعيد تفسير النصوص، مضيئاً على أهمية الاعتبارات الجمالية والأخلاقية في الحفاظ على سلامة الرسالة الأصلية.[14]

وبناءً على هذا التنافذ لمقولات الترجمة والمترجمين، وضمن تفاوضٍ يتحدَّى "تقنية" الترجمة، ويعيد تشكيلها لتكون أداةً لصدِّ ادِّعاءات العجز المعرفي ونقص المعاني أو قصرها، فإن هذه البطاقة ستقدم أحد أهم أقطاب الترجمة العربية المعاصرة، المترجم والكاتب ثائر ديب. وتركز البطاقة على تقديم ديب السياقيةَ على اللغوية في الترجمة ضمن فهم النصوص وزواياها النظرية المتسعة، وهو الذي تميز بموقعية وطنية وقومية وأيديولوجية جعلت من ممارسته للترجمة وطرقها ونهجها، نقداً متَّزناً ومتأنِّياً وجريئاً عزَّ نظيره. لقد قدم لنا ديب مراجعات ورؤى فذَّة عن الترجمات العربية وسياسات الترجمة من العربية وإليها، والنصوص التي ستستقبلها الثقافة العربية في مشاريع الترجمة العربية المختلفة من تسعينيات القرن الماضي وحتى اللحظة.

المساهمات الخبراتية للمترجم ثائر ديب

المترجم العربي ثائر ديب من اللاذقية في سورية، وهو طبيب بشري، متفرِّغ كلياً للترجمة والكتابة والعمل الثقافي. وهو عضو الهيئة الاستشارية لمجلة **الثقافة الأجنبية** التي تصدرها دار الشؤون الثقافية العامة في وزارة الثقافة العراقية. وسبق أن كان عضو الهيئة الاستشارية لمشروع "نقل المعارف" في هيئة البحرين للثقافة والآثار، منذ بداية المشروع في العام 2014 حتى اكتماله في العام 2022. كما كان عضو الهيئة الاستشارية لوحدة "ترجمان" في المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات في بيروت. كما عمل خبيراً في مديرية التأليف والترجمة (لاحقاً الهيئة العامة السورية للكتاب) في وزارة الثقافة، ثم مديراً للترجمة فيها. أطلق مجلة **جسور**، وهي فصلية تُعنى بالترجمة ودراساتها، تصدرها الهيئة العامة السورية للكتاب، وقد ترأس تحرير أعدادها الخمسة الأولى، كما أطلق في وزارة الثقافة السورية "جائزة سامي الدروبي للترجمة"، بالإضافة إلى إطلاقه من الوزارة نفسها تكريماً دورياً لكبار المترجمين، وقام على إصدار "سلسلة تراث الترجمة". وشغل عضوية هيئة التحرير لمجلة **الآداب العالمية** التي تصدر عن اتِّحاد الكُتَّاب العرب في دمشق، من العدد 129، 2007 إلى العدد 150-151، 2012. اختاره المشروع القومي للترجمة في وزارة الثقافة المصرية للتكريم المعنوي في "يوم المترجم" للعام 2019. أما في أواخر العام 2022، فقد بيَّنت قاعدة البيانات الإلكترونية "فهرس الترجمات العربية" لرصد الإنتاج الترجمي العربي في مجال العلوم الإنسانية والاجتماعية التي أنشأتها مؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود للدراسات الإسلامية والعلوم الإنسانية (الدار البيضاء)، أن ديب يحتل الترتيب الأول لأكثر المترجمين إنتاجاً (بواقع 76 ترجمة)، تلاه جورج طرابيشي (73 ترجمة) ومن ثم عز الدين الخطابي (70 ترجمة). وبالإضافة إلى ذلك، فهو عضو اللجنة الاستشارية لجائزة سلطان بن علي العويس، الدورة الثامنة عشرة 2022-2023، وعضو لجنة تحكيم جائزة نجيب محفوظ

للأدب التي تمنحها دار نشر الجامعة الأمريكية في القاهرة للعامين 2020 و2021 على التوالي، وعضو لجنة تحكيم "الكتابات الإبداعية والنقدية" المقدَّمة لنيل مِنح الصندوق العربي للثقافة والفنون (آفاق) للعام 2020.

دقَّق ديب وراجع مئات الكتب في مديرية التأليف والترجمة (الهيئة العامة للكتاب) في وزارة الثقافة السورية، وفي عديد مشاريع الترجمة العربية الكبرى ودور النشر الخاصة، بالإضافة إلى كتابة تسعة مداخل لـ "الموسوعة العربية" التي تصدرها الهيئة العامة للموسوعة العربية في دمشق، عن كل من: إدوارد سعيد، سومرست موم، هنري ميلر، هرمان ميلفل، وليم فوكنر، فرانك نوريس، توماس هاردي، إرنست همنجوي، وه. جـ. ويلز. ويعَدُّ كاتباً مواظباً في الصحافة الثقافية والفكرية العربية، وله كثير من الدراسات والأبحاث المنشورة في الدوريات العربية (لا سيَّما عن الترجمة)، وكانت له زاوية أسبوعية على مدى الأعوام 2014- 2017 في صفحة الرأي في صحيفة **السفير** اللبنانية.

ما تعنيه الترجمة وسياساتها عند ثائر ديب

إن الخوض في رحلة إنجازات المترجم العربي ثائر ديب يُعدُّ تجربةً مختلفة في اللغة والتاريخ والفاعلية، وبتقاطعها يتميز ديب بتتبُّعه ونقده لسياسات الترجمة. فالترجمة لديه ليست تقنية، وإنما ممارسة معرفية ونقدية وشمولية، وهي كذلك ممارسة تأملية في أثر السلطة والهيمنة، وتحولات الذات والآخر. يمتلك ديب بالإضافة إلى ما يزيد عن ترجمة سبعين كتاباً إلى العربية، العشرات من المقالات الفكرية التي تضيء وضع حقل الترجمة بشكلٍ عام، وعربياً بشكل خاص، ونقد الترجمات المختلفة، وتتبُّع مراحل نهوض الترجمة ونكوصها، ومعرفة معمقة بالمترجمين العرب، ودور النشر العربية، ومشاريع الترجمة المختلفة، بالإضافة إلى حدود الحقل، والفاعلين فيه.

يطرح ديب الترجمة كتشكل من ثلاثة أبعاد، هي: البعد اللغوي، والبعد المعرفي، والبعد النقدي، ولا يقف في ترجماته عند البعد اللغوي، بل يرفض اقتصار الترجمة عليه. أما بالنسبة للبعد المعرفي، الذي يتداخل مع البعد النقدي، فلا يرى ديب أن المعرفة بحقل النص المراد ترجمته تكفي فقط لممارسة الترجمة، فالمعرفة يجب أن تكون متسعة باعتبار أنها جزء من إنتاج هذه المعرفة. وبالتالي، ينبغي الإحاطة بالسياقات الثقافية والاجتماعية والتاريخية للحظة دخول النص، والوعي بلحظة تحويل النص إلى اللغة والثقافة والمجتمع الذي سيستقبل هذا النص. هنا، يظهر البعد الثالث بالضرورة، وهو البعد النقدي، إذ إن النقد من منظور ديب هو أرقى السبل إلى إنتاج المعرفة. وهكذا يكون البعد المعرفي متصلاً بثقافة تحسن الاختيار لأنها تقف على مكوِّنات النصوص الأجنبية وعلى مرجعيَّاتها فتتمكن من الحكم على مدى قابلية هذه النصوص للإفادة منها، وتقييم حصيلتها في إتاحة فرصة التفاعل الإيجابي بين الأنا والآخر.[15] وفي هذا السياق، يشير ديب إلى أن آلية ظهور هذا النقد في الترجمة يأتي عبر ما تعكسه دقة العبارة، وسداد المفردة، وحسن التركيب، والتعبير اللغويين. فالتعبير الجيد ليس دليل التفكير الجيد أو المعرفة الجيدة وحسب، بل هو دليل الموقع النقدي الجيد أيضاً.[16]

يربط ديب الترجمة كممارسة معرفية مع البناء الاجتماعي ككل، وهذا يشكِّل حالة من الحوار والتفاعل أو السجال

والتصادم بين العلم وبقية أنظمة المجتمع وأنساقه، حيث لا يوجد العلم والتقنية إلا منغمسين في المجتمع وفي اللحظة التاريخية المعيَّنة.[17] وهو يشير عبر ذلك إلى الاقتران بين اضطراب الترجمة واضطراب العلاقة مع الآخر، الذي يرى أنه تكرر مرتين على الأقل في التاريخ العربي: في العصر العباسي، وفي حركة الترجمة في عهد محمد علي.[18] ومن خلال تتبُّعه لازدهار الترجمة في عهد محمد علي تحديداً، يرى ديب أن عملية نقل العلوم إلى العربية لم تأتِ دفعة واحدة، بل سبقتها الحاجة إليها. فبعد تولِّي محمد علي حكم البلاد، تطلَّع إلى تكوين جيشٍ قوي، فأنشأ المدارس الحربية وأتبعها بالمدارس الطبية، بشرية وبيطرية، حفاظاً على صحة الجيش من جنود وخيل، ثم احتاج إلى الحصون والقلاع والأسلحة فأنشأ المدارس الهندسية والفنية.[19] إلا أن الإشكالية في الترجمة في عهد محمد علي أنها كانت ترجمة منفصلة، بمعنى أنها لم تترافق مع تغير في الإطار الذهني والإطار الاجتماعي الذي يحتويها، أي في تلك العوامل والآليات والبنى التي تمكِّن العلم من الرسوخ والشيوع وتشجِّع تقدُّمه أو تعمل على النقيض من ذلك.[20] ولذا، فكان مصير مشروع محمد علي، بعد رحيله مباشرة، هو "الاندحار"، لأنه بالإضافة إلى ما ذكر، كان فوقياً وسلطوياً في توجُّهاته وخياراته، وبمقتضيات بناء جيشه، لا ببناء الإنسان على أرض مصر. كما وأنه حاول أن يستعير العلم التطبيقي الجاهز، متوقِّفاً عند نتائج العمل العلمي وثماره ومهملاً ظروف إنتاجه، ولم يأتِ مقترناً بتغيُّر "الباراديم" أو الإطار المفاهيمي الحاكم والسائد، فلم يعد أخذاً للعلوم البرَّانية الغربية وإبقاءً للعلوم الجوَّانية الشرقية، أي أنه لم يعد أخذاً للتكنولوجيا وإبقاءً على الأساس العقائدي للمجتمع دون مسٍّ، بالإضافة إلى تفويته أثر السياق التاريخي الذي أخذت فيه أوروبا بالتوسع الاستعماري بالمنطقة.[21]

ومن أوضح الأمثلة على تأثر الترجمة بالثقافة والسياسة والتاريخ والاجتماع، وتأثيرِها فيها جميعها كما يطرح ديب، ترجمة الكتب المقدَّسة إلى مختلف اللغات، وكذلك ترجماتها المختلفة في اللغة الواحدة. فترجمة مارتن لوثر لـ **الكتاب المقدَّس** إلى الألمانية، على سبيل المثال، لم تقتصر على المساهمة في إطلاق شرارة إصلاحٍ ديني عميق، بل تعدَّته إلى المساهمة في بناء أمة. وكذلك شأن ترجمة هذا الكتاب إلى الإنجليزية، إذ شكَّلت الترجمة قصة انفلاته من قبضة الكهنة إلى أيدي العامة، وقصة تشكُّل اللغة الإنجليزية ذاتها. وبذا، فقد كانت المحاولات الأولى في ترجمة النصوص المقدَّسة من لغتيها الأصليتين، العبرية واليونانية، إلى الإنجليزية محلَّ صراعٍ اجتماعي وسياسي، ومحلَّ سجال ومناظرات دينية عنيفة، كثيراً ما اكتنفتها المؤامرات والدسائس التي حيكت لأولئك المترجمين الذين لم يكونوا مجرَّد "مترجِمين" بقدر ما كانوا (في ترجماتهم وفي مجمل مسيرتهم) حَمَلَةَ مشروع إصلاحٍ دينيٍ واجتماعي ساق بعضَهم إلى حتفه.[22] من خلال هذا المثال، لا يقدم لنا ديب ارتباط الترجمة بالسياق الاجتماعي والتاريخي فحسب، بل أيضاً عبر بلورته لمفهوم "سياسات الترجمة"، الذي يحوي ما سبق بما يخص ارتباط الترجمة بالبنية الاجتماعية والسياق التاريخي، بالإضافة إلى علاقة هذا المفهوم بالسلطة والمقاومة. يُعرِّف ديب سياسات الترجمة بالقول: "تشير سياسات الترجمة إلى ما يكتنف عملية الترجمة من مؤثرات ومقاصد وما يتأتَّى عنها من مفاعيل، الأمر الذي يجعل السياق الذي تتمُّ فيه الترجمة حاضراً أشدَّ الحضور بأسئلته التي تأتي الترجمة استجابة لها، وشكل هذه الاستجابة أو نوعها إذ تتأثر بأيديولوجية المترجم وجماع تكوينه المعرفي والاجتماعي الذي يؤثر في خياراته كما يؤثر في أدائه ومقاصده، ومدى التطابق بين ما يتوخاه لترجمته من آثار ومفاعيل وما يتحقق فعلاً، أكان على صعيد الذات المترجم لها أم على صعيد العلاقة بالآخر المترجم منه، ما إن يتموضع النتاج في سياقاته المستقلة."[23]

يرى ديب أن واحداً من أهم موضوعات سياسات الترجمة هو ما يمكن أن ندعوه "سوق التبادل الثقافي العالمي" أو "سوق الترجمة العالمي". فهذه السوق تحكمها تباينات القوة بين اللغات والثقافات، وتسيطر فيها "الكتب الرائجة" التي عادة ما تكرِّس قيم الثقافة السائدة عالمياً، وفكرياً وفنياً، كما يحكمها (تخلُّفُنا) الثقافي على نحوٍ شبيه نوعاً ما بتخلُّفنا الاقتصادي الذي يجعلنا نستورد أكثر مما نصدِّر بكثير. وهكذا تغدو الترجمة مؤسسة كاملة، عالمية النطاق، للإدناء والإقصاء و(سوءِ) الاختيار، تضم ناشرين ومموِّلين وجوائز ودوريات وبرامج تسويق وإعلام ومراكز ثقافية ومنظَّمات حكومية وغير حكومية وشِللاً وعصابات ثقافية ممتدة (من كتَّاب ومترجمين ونقَّاد محليين ومهاجرين وأجانب) وشخصيات تعمل كعقد اتصال بسبب نفوذ ما، وتُعتَمَد "مراجع" في اختيار من يمتثلون إلى معايير المؤسسة المذكورة التي تكاد تغيب عنها قيم التمرُّد الأدبي.[24] يرتبط ذلك بما أطلق عليه ديب، واصفاً حال الترجمة ضمن حقل الاقتصاد السياسي، "الترجمة اللا-متكافئة"، حيث يأتي اللاتكافؤ من منظور يرى الرأسمالية على أنها منظومة عالمية واحدة وغير متكافئة في آنٍ معاً. فهي تتألف من مركز وأطراف تربطهما معاً علاقة من تطور عدم التكافؤ وتعاظمه. وهذا يطرح تساؤلات عن المنظومة الثقافية والمعرفية العالمية التي تجري فيها حركة المعرفة والثقافة على نحو من عدم التكافؤ المتزايد، وعن كون الترجمة أداة لفحص ذلك. وأول ما تشير إليه المعطيات الرقمية هو أن اللغة الإنجليزية قد غدت اللغة الأكثر ترجمة منها سواء على النطاق العالمي أو المحلي، فعدد الترجمات من الإنجليزية على هذين المستويين يفوق عددها من اللغات الأخرى. ما توضحه هذه المعطيات إذاً، هو سيطرة طاغية للثقافات ذات اللغة الإنجليزية واختلال مهم في الميزان التجاري بين صناعتي النشر البريطانية والأمريكية من جهة، ونظيراتها الأجنبية من جهة أخرى.[25]

غير أن عدم التكافؤ ليس تبايناً في الأرقام والكمِّيات فقط، بل يتجاوزها إلى مستوى البنية الاقتصادية والاجتماعية المعنية. وفي هذا السياق، فإن ما يتطلع إليه الكتَّاب المحليون هو ترجمة أعمالهم إلى الإنجليزية ساعين وراء النجاح النقدي والتجاري وخاضعين لمعايير المعتمد الأدبي الفكري الأنجلو-مريكي. وفي المقابل، نجد أن ترجمة الأعمال غير المكتوبة بالإنجليزية في الأصل غالباً ما تتمّ عن الإنجليزية كلغة وسيطة، الأمر الذي يجعل المعتمد الأنجلو-أمريكي ممثلاً يحدد التصنيفات والإقصاء، كما ينقل معها تلك الاستراتيجيات الخطابية التي تسيطر على الترجمة إلى الإنجليزية. هكذا تبدو الإنجليزية في الثقافة مثل الدولار في الاقتصاد، فداخل الترجمة بين المركز والأطراف، نجد أن الثقافة الخاضعة تترجم من الثقافة المهيمنة أكثر بكثير مما تترجم هذه الأخيرة منها. وذلك يعني اتساع تمثيل الثقافة المهيمنة في الثقافة الخاضعة، وضيق تمثيل هذه الأخيرة في نظيرتها. وعلى هذا النحو، تتكشَّف الترجمة على أنها لا تقتصر على جانبها التقني إذ تتمُّ في شبكة من العلاقات عالمية النطاق تجعل كل عمل مترجم منغمساً في روابط معقَّدة تتسم بهيمنة المركز ولغته ومصطلحاته ومعتمداته، وذلك على نحو بات يؤثر حتى على إنتاج "النصوص المحلية" ويشترط توزيعها في السوق العالمية.[26]

ولعل هذا ينقلنا إلى نص ديب المعنون بـ "من المترجم الفرد إلى المشروع الثقافي"، والذي يناقش فيه فكرة مركزية بأن الترجمة، مهما تكن، هي عملية ثقافية واجتماعية متعددة الأطراف. فلا يتوقف اختيار ما سيُتَرجَم على المترجم في أكثر الأحيان، بل يتجاوزه إلى الناشر على الأقل، سواء كان ناشراً خاصاً أو عاماً. بل إن الترجمات

الهامة وذات الأثر غالباً ما كانت مرتبطة في تواريخ الثقافات، ومنها تاريخ الثقافة العربية والإسلامية، بمشاريع كبرى، مثل الاستعمار والنهضة والاستقلال والتنمية إلى آخره. وفي مثل هذه اللحظات، تبدو الترجمة واختياراتها كما لو أنها مساهمة في الإجابة عن الأسئلة التي تطرحها هذه المشاريع وجهد على طريق تحقيق تطلُّعاتها. وتشير التجارب إلى أن ما تقتضيه مثل هذه اللحظات كضرورة هو وجود مؤسسات للترجمة لا مجرَّد دور نشر خاصة أو تابعة للدولة تنشر الترجمات (على سبيل المثال "بيت الحكمة" أيام المأمون، و "مدرسة الألسن" أيام محمد علي)، وهي مؤسسات تجعل الترجمة ككل، لا اختيار ما يُتَرجم فحسب، ذلك المشروع المتكامل الذي يقتضي وضع الاستراتيجيات والخطط العملية وعمل الفريق والمتابعة.[27]

وفي تتبُّع ديب لبعض نماذج المساهمات النظرية بالترجمة المعاصرة، وبأثر واضح من سياسات الترجمة، يعطينا مثالاً آخر عن كتاب **دراسات في الترجمة: نظرات في فرع أكاديمي ناشئ** (2002)،[28] تحرير أليساندرا ريكاردي، حيث تأتي أطروحة الكتاب عبر تفحص الممارسات الترجمية خلال مراحل الكفاح الإيرلندي من أجل الاستقلال، ملقياً الضوء على الطرائق المتنوعة التي أفصح المترجمون من خلالها عن مقاومتهم للاستعمار البريطاني. إحدى إشكاليات الترجمة كما يطرح الكتاب تكمن مثلاً في ترجمة الأسماء، ذلك أن أسماء العلم بوصفها نقاط علّام ألسنية أساسية تعطي للأشخاص والأماكن فرديَّتها وتميُّزَها، فضلاً عن أن ممارسات التسمية تلعب دوراً مركزياً في التشكُّلات الثقافية إذ تميز بين هويات الشعوب. فترجمة هذه الأسماء، والتي تبدو للوهلة الأولى أبسط الأمور ترجمة، إنما تمضي بنا عميقاً إلى قلب قضايا ترتبط بالمعرفة، والسلطة والهيبة الثقافية، وتأكيد الهوية وتقرير المصير، فضلاً عن الميراث الذي خلفه الاستعمار في العالم الحديث.[29] ولعل ذلك يتقاطع مع ما تطرحه ليندا سميث ضمن أنظمة المعرفة الأصلانية، حيث تركِّز على مقاومة الهيمنات الغربية من خلال دعم ممارسات الترجمة المستندة إلى معارف ووجهات نظر الشعوب الأصلية وسيادتها الثقافية. وهي، كذلك، تحيل إلى أهمية احترام الرؤى العالمية للشعوب الأصلانية وفهم لغاتهم، معتبرة أن الترجمة ليست مجرَّد نقل لغوي عادي، بل أداة للحفظ الثقافي والمقاومة من أجل استرداد حقِّ الشعوب في حماية معرفتها ولغتها من الاستغلال الاستعماري.[30] وتبعاً لهذه الإحاطة عن رؤية ديب لما تعنيه الترجمة وسياساتها، سنرى عبر تجربته الواسعة في الممارسة الترجمية في حقل الترجمة العربية، كيف يصيغ حدوده واتِّساعه.

حقل الترجمة عربياً بعين المُمارس

يتتبَّع ديب أثر وحضور "مشاريع الترجمة العربية الحديثة الكبرى" في الحياة الثقافية والفكرية والعلمية العربية الحديثة كمثال ينطبق على مشاريع محددة، مثل: مشروع محمد علي باشا ورفاعة الطهطاوي في الترجمة العلمية في النصف الأول من القرن التاسع عشر، ولجنة التأليف والترجمة والنشر (منذ العام 1914-إلى ستينيات القرن العشرين)، ومشروعَي "الألف كتاب الأول" (بإشراف الإدارة الثقافية التابعة لوزارة التعليم المصرية في خمسينيات القرن العشرين وستينياته) و"الألف كتاب الثاني" (عن الهيئة المصرية العامة للكتاب منذ العام 1986)، والمشروع القومي للترجمة (منذ العام 1995 وحتى الآن)... وذلك كله في مصر. وثمَّة الكثير مما أنتجته وزارة

الثقافة السورية من ترجمات (لا سيَّما في فترة إدارة أنطون مقدسي لمديرية التأليف والترجمة). هذا بالإضافة إلى ما يصدره المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب في الكويت في سلسلتَي "عالم المعرفة" (منذ العام 1978 وحتى الآن) و"من المسرح العالمي" (ابتداءً من العام 1969) والتي بات اسمها "إبداعات عالمية" (ابتداءً من العام 1998). كما يندرج في الجهود العربية مشروع المنظمة العربية للترجمة في بيروت (1999)، ومشروع "كلمة" في الإمارات العربية المتحدة (2007)، ومشروع "ترجمان" في المركز العربي للأبحاث ودراسات السياسات في قطر (2010)، ومشروع "نقل المعارف" الذي أطلقته هيئة البحرين للثقافة والآثار (2014).[31]

يرى ديب أن ما يلفت الانتباه في هذه المشاريع هو تفرُّقها في المكان والزمان، وعدم اندماجها في مشروع واحد. هذا بالإضافة إلى الإشارة إلى دور الدولة في هذه المشاريع، إذ إنها جميعاً، ما عدا لجنة التأليف والترجمة والنشر والمنظمة العربية للترجمة، تقف وراءها دول تقدِّم لها التمويل وتحدِّد لها الآفاق وترسم لها الحدود. ولعل هذا يثير نقاشاً متجدداً حول دور الدولة الثقافي في العالم الثالث، وجبن رأس المال الخاص عن الاستثمار الكبير في المجال الثقافي، ومدى دقَّة وواقعية المفهوم الليبرالي للسوق "المستقلة"، وسبل إصلاح دور الدولة الثقافي أو حتى تغييره بتغيير أنظمتها القائمة. لقد سادت قناعة راسخة، منذ أواخر خمسينيات القرن العشرين وحتى أواخر سبعينياته، مع صعود الدولة الوطنية في بلدان العالم الثالث بعد الاستقلال، بأن للدولة الدور الأساسي في توفير البنية التحتية على مستويات المجتمع كلِّها، بما في ذلك الثقافة وإطلاق المشروع الثقافي، وذلك نظراً إلى البنية الاستعمارية المتخلفة الموروثة وطابع المشروعات الخاصة الجبان الذي يردعها عن الاستثمار في الثقافة والبناء الثقافي. ومنذ أوائل ثمانينيات القرن العشرين، راحت هذه القناعة تتداعى مع إخفاق الدولة الوطنية وتوغُّلها في إفساد الاقتصاد والمجتمع والسياسة والثقافة. كما ينوِّه ديب إلى الدور الفكري والإداري الهائل الذي قام به أفراد مثقفون يقفون على رأس المشروع الترجمي العربي الحديث، تساندهم إما شخصيات مسؤولة في الدولة أو ظروف معينة تمرُّ بها البلد (سواء كانت نهضة، أو أزمة، أو صراعاً.. إلى آخره...) أو يساندهم نبوغهم الفردي وطموحهم وحده. ومن هؤلاء، على سبيل المثال، أنطون مقدسي في "مديرية التأليف والترجمة السورية"، وجابر عصفور "المشروع القومي للترجمة" والطاهر لبيب في مشروع "المنظمة العربية للترجمة" أولاً ثم في مشروع "نقل المعارف"، وعزمي بشارة في "ترجمان" المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات في قطر. ولعلَّ أهم ما اتَّسم به هؤلاء الأفراد، إلى جانب تميُّزهم الفكري والإداري، هو قدرتهم على التخطيط وبناء التصوُّر الاستراتيجي.

يشير ديب إلى ما قد فات اللغة العربية من الترجمات الكثيرة لأمَّهات الكتب الضرورية في معظم المجالات، وهذا وحده دور شاق على الأفراد، وعلى المؤسسات الصغرى، فما بالك بأن تضاف إليه ترجمة الفكر العلمي النقدي، والمناهج الحديثة، والمنظومات الكبرى، وما يستجد في كلِّ ذلك، فضلاً عن الآداب وسواها. فهو يرى أن مثل هذه المشاريع يجب أن تقوم بقسطها الأكبر مؤسسات كبرى تتخطَّى ما هو قُطري إلى ما هو عربي عموماً، وذلك بدلاً مما وصفه جابر عصفور بالعشوائية والتشرذم وغياب خطة قومية تشمل الأقطار العربية. ومن الواضح أن كل هذا برأي ديب يستدعي دور الدولة الوطنية قومية التوجُّه التي بات وجودها ومستقبلها محلَّ شكوك عميقة في السنوات الأخيرة التي اندلعت فيها "لا ثورات" الحرية والكرامة والخبز،

بالإضافة للصراعات المرتبطة بسياسات الهوية والإرهاب والتكفير.[32] وعن هذا الشأن، يخصِّص ديب مقالته "عدة المترجم وعتاده: في ترجمة الدراسات الثقافية والنظرية ما بعد الكولونيالية إلى العربية" لتناول قصور الترجمات في حقول محدَّدة، وبالذات حقل الدراسات الثقافية ونظريات ما بعد الاستعمار. فالأمر لا يقف عند الطول الزمني الذي يفصل بين ولادة تيار فكري أو علمي، وبين توفُّر القارئ والمثقف الأكاديمي العربي على أدبيات هذا التيار، الذي قد يمتد ما بين عام يفصل بين صدور الكتاب وترجمته إلى أكثر من خمسين عاماً، بل يتجاوز ذلك إلى بقاء معظم هذا التيار وأمهات كتبه خارج عملية النقل والتبادل وتشويه الترجمة. هذا بالإضافة إلى تغييب أو تشويه السياقين الثقافي والتاريخي اللذين يندرج فيهما هذا التيار، وبفعل ذلك يهدر الصراع الفكري والاجتماعي الذي يكتنفه، مما يشجع على غياب الموقف والرؤية النقديين.[33] وعمَّا لم تتمّ ترجمته، يشير ديب إلى أن نصوص الآباء المؤسِّسين لحقل الدراسات الثقافية كـ ريموند ويليامز، وريتشارد هوغارت، و إ.ب. طومسون، لم يترجم منها جميعاً إلا خمسة أعمال لريموند وليامز. هذا بالإضافة إلى أن غاياتري سبيفاك، وعلى الرغم من كونها من أعمدة النظرية ما بعد الكولونيالية، إلا أنه لم تتمّ ترجمة أيٍّ كتاب لها للغة العربية، وكذلك كل نتاج مدرسة التابع الذي لم تتمّ ترجمته حتى الآن.[34]

وكما يظهر النقد في كتابات ديب، كذلك نتلمَّس الحميمية داخل الحقل تبعاً لتجاربه مع النصوص المترجمة ومشاريع الترجمة التي شارك فيها، ولربما يظهر الأول بفعل الثانية. يتجلَّى ذلك في مقدمته لكتاب **تأملات حول المنفى** لإدوارد سعيد، وقد وصف نسخة كتاب **الاستشراق** التي حصل عليها في برد المعتقل، بالدفء الذي لفَّ روحه، ومنعها من التعفُّن. ولأنه كان يمارس الترجمة، فإن قراءته للاستشراق لم تقتصر على ما كُتب فيه، بل امتدت لتطول ما ترجم أيضاً.[35] لقد كان ذلك بداية لنصوص كثيرة عن إدوارد سعيد والترجمة، الذي اعتبره ديب "ضائع في الترجمة."[36] لقد حاول ديب أن يراجع ترجمات كل من صبحي حديدي وكمال أبو ديب، والتي أصبح فيها سعيد مشوَّهاً ومزيَّفاً في ترجمات حديدي،[37] وبخاصة في **تعقيبات على الاستشراق**،[38] بينما أخذت ترجمة كمال أبو ديب جهداً أكثر تعقيداً ومعرفةً احترمها ديب. إلا أنه أشار إلى إشكاليات ترجمة أبو ديب على النحو الذي جعل نصوص سعيد، تحديداً **الاستشراق**[39] **والثقافة والإمبريالية**،[40] نصوصاً مستغلقة، ومُغرِّبة للغة للعربية.[41]

تظهر الحميمية أيضاً ولكن من نوعٍ مختلف بين ثائر ديب وجابر عصفور الذي التقاه أول مرة في العام 2000 في القاهرة خلال مؤتمر "قضايا الترجمة وإشكالياتها". وكان هذا اللقاء سبباً في ظهور ترجمة ديب لكتاب هومي بابا **موقع الثقافة**، وهكذا بدأت رحلة ديب مع المشروع القومي للترجمة الذي صدرت له في هذا المشروع ستة كتب. يشير ديب إلى أهمية المشروع القومي للترجمة وقائمة إصداراته التي ناهزت 3500 كتاباً، وأن هذه الأهمية تتأطر بالذات في أن جابر عصفور وخلفاءه وموظفيه والمترجمين الذين عملوا معه على هذا الصعيد، مثالٌ على التدقيق الذي يبديه الباحث في نوعية كتب المشروع القومي للترجمة لا في كمياتها فحسب. كل ذلك جعل من هذا المشروع جامعاً لخيارات المترجم الفرد وتفضيلاته وضرورات الثقافة ومؤسساتها، بين وعي الفرد العلمي النقدي ووعي المؤسسة والمشروع الاستراتيجي المستدام.[42]

يشير ديب إلى مساهمة جابر عصفور في مقالته "نحو مشروع قومي للترجمة"، التي جمع فيها بين النظرية والتخطيط العملي. يحضر في هذه المقالة مصطلح "التخلف" الذي بات يُنظَر إليه على أنه نوعي وليس كمِّياً فحسب. وإلى جوار "التخلف"، تحضر عبارة "مجاوزة التخلف"، التي تدرِج الترجمة والعلاقة مع الآخر في سياق "الاستقلال السياسي والثقافي". والمبدأ الأول، في التخطيط لمشروع قومي للترجمة لدى جابر عصفور، هو الخروج من أسر المركزية الأوروبية الأمريكية، لتأتي بعده مبادئ الانحياز إلى كل ما يؤسس لأفكار التقدم ويساهم في إشاعة العقلانية، وعدم التقوقع في مجال معرفي واحد، وترجمة الأصول المعرفية دون إغفال المنجزات الجديدة لحركة الإبداع والفكر العالميين، والترجمة عن لغة الأصل مباشرة، وقومية الجهد، بالمعنى العربي الشامل.[43] ومن يقرأ نصوص ديب سيرى التأثر الكبير لمن يصفه بأنه المعلم والصديق جابر عصفور، وسيرى تشابه المصطلحات والفكر بينهما. هكذا تلتقي الحميمية بالنقد، وتتشكَّل المعرفة في حقل الترجمة العربي، أو لربما بتجربة ديب على الأقل، وبذا نشهد تجربة مختلفة من الرؤية الشاملة، وكذلك العناية والوعي بالممارسة الترجمية.

خاتمة نافذية عن الترجمة

يقدم ثائر ديب رؤية متفائلة عن الترجمة، إذ يعتبر أنه على الرغم من ارتباطها بالقوة والسلطة، واستخدامها في السيطرة على الشعوب وقَوْلَبَتِها، فلا يعني ذلك أن هذا هو الدور الوحيد الذي أدَّته وتؤدِّيه وستبقى تؤدِّيه في المستقبل. لقد باتت الترجمة، اليوم خصوصاً، استعارة أساسية لبعض المهام الأكثر إلحاحاً، كالجمع بين اللغات والثقافات والسياقات السياسية المختلفة على نحوٍ يقدِّم تفهُّماً متبادلاً، دون الاضطرار إلى التضحية بالاختلاف لمصلحة التمثُّل والتماثل الأعميين. والترجمة، بهذا المعنى، تشير إلى إبداع خرائط ثقافية وسياسية جديدة، وإقامة مناطق مشتركة ومواضع للتَّمفصل تحفظ حق الاختلاف والمساواة. كما تشير إلى بقائها في الحاضر، منغمسة في صراعاته وتعقيداته، تؤدِّي الدور السابق (السلبي)، كما تؤدِّي دوراً واضحاً بوصفها قناة مهمة للمقاومة وتحرُّرِ العقول والأجساد.[44] ومع اتفاقنا مع طرفي الطرح السابق عن الترجمة، إلا أن الإضافة قد تكمن في تعقيد الراهنيَّة، وتعدُّد الرهانات الخاصة بالترجمة حالياً. ويأتي ذلك من أطروحة تتعلَّق بحال المعرفة المنتجة، ليس على مستوى المؤسسات وحسب، وإنما أيضاً على مستوى الفكر ضمن الحياة اليومية. إن هذا التعقيد يستدعي طرحاً آخر لصديق وشريك ثانٍ لثائر ديب، وهو عالم الاجتماع التونسي الطاهر لبيب الذي قدَّم مؤخراً مداخلة عن "ثقافة اللامعنى"، وإن كانت لا تتطرَّق للترجمة بشكلٍ مباشر، إلا أن الترجمة تعدُّ امتداداً لها، نظراً للعلاقة المتمفصلة بين الترجمة وإنتاج المعرفة. يرى لبيب أن هناك تفشٍّ لثقافة اللامعنى، بتعريفيها الفكري والأنثروبولوجي، كظاهرة كونية متفاقمة.[45] يلتقي ذلك مع رؤية الفيلسوف كورنيسليوس كاستورياديس لما أسماه "صعود اللا-دلالة"، وهو صعود أو تفشٍّ حوَّل اللاشيء إلى شيء، وأسند إليه معنى. هكذا أصبحنا نبحث عن معنى ما لا معنى له بعد أن كنا نبحث عن معنى ما له معنى. ويرى لبيب أن ذلك يبعث على نشوء تخصُّص جديد يجازف بتسميته بـ"اللامعنالوجيا". ولا شكَّ أن وراء هذه التسمية استحضار لسياق الظاهرة: وهو أن نشر التفاهة، وتنويع وسائل استهلاكها، وفسح المجال للمتخصصين في تسطيح الفكر وتفتيته، خصوصاً في وسائل الإعلام، هو من آليات نظام

رأسمالي نيوليبرالي استهلاكي معولم، وهو من أعراضه أيضاً. ولعل هذا هو السبب الأصلي في انتشاره.

وفي هذا السياق، تفيد مقولة لبيب أن المجتمعات التابعة لا تكتفي بتفاهاتها الذاتية وإنما تستورد أو تتلقَّى تفاهات المجتمعات التي تصنعها. على أن المشكلة لا تكمن في التافه، في حدِّ ذاته، فلكلّ مجتمع نصيب منه، وإنما تكمن في أن تحقِّق التفاهة هدفها المضمَر الذي هو انشغال الناس بها، على حساب الأهم في حياتهم ومصيرهم. ولعلَّ الانشغال بالتفاهة، وإن أمتع الكثيرين، هو نوع من استبطان الخضوع، ومعنى اللامعنى، خارج اللغة، وهو هذا: الإخضاع. ثقافتنا العربية الراهنة تنتج اللامعنى أكثر مما تنتج المعنى. ويكفي أن ننظر في خليط ما يُقال ويُكتب، يومياً، وفي أصناف التعليق عليه، في وسائل الإعلام والتواصل الاجتماعي. وأما السؤال فهو كيف أمكن لهذه الثقافة الكبيرة التي قامت، أيام مدِّها، على إنتاج المعنى المتوالد المفتوح أن يكون أغلب ما تنتجه اليوم فاسد المعنى أو فاقداً له؟ لا يتصل الأمر بالكفاءة وإنَّما بتعطيلها، فمن لهم، من العرب، أن ينتجوا المعنى، لولا تعطيل كفاءتهم، كثيرون! وبناءً على هذه الأطروحة، التي تمسُّ أغلب ما يحيطنا كمفكرين وقارئين ومترجمين، يبدو أن هناك خريطة جديدة نبحث في مواقعها ليس لإيجاد طرق مشتركة، أو طرق للمقاومة والتحرر بالمعنى (الكبير)، وإنما للبحث عن المعنى في تفاصيل يومنا لغة وإدراكاً، فأين يتواجد المعنى كي نترجمه؟ لا شكَّ أن هذا هو الرهان الذي واجه ثائر ديب ولا زال يواجهه طوال رحلته الصعبة والملهمة في تقديم كل هذه النصوص المترجمة لعالم المعرفة العربي

قائمة ترجمات ثائر ديب

1. تيري إيجلتون، **ما بعد النظرية** (الدوحة-بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2025).

2. فرانسيسكو بيتنكور، **عنصريات: من الحروب الصليبية إلى القرن العشرين** (الدوحة-بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2025).

3. يان داو فان دِر بلوخ، **الفلاحون وفن الزراعة**، ترجمة بالمشاركة مع مهيار ديب (القاهرة: دار المرايا، 2024).

4. فيليب ماكمايكل، **النُّظُم الغذائية والمسائل الزراعية**، ترجمة بالمشاركة مع حلا ميّا (القاهرة: دار المرايا، 2024).

5. إيان سكونز، **الماشية والمناخ وسياسات الموارد** (أمستردام: منشورات المعهد العابر للقوميات (TNI) وشبكة سيادة، 2023).

6. روبرت غارلاند، **الحياة اليومية لليونانيين القدماء** (دمشق: الهيئة العامة السورية للكتاب-وزارة الثقافة السورية، 2023).

7. **الإنسانيات في القرن الحادي والعشرين،** إعداد بربارة وينكلر، بيآتا أولريكه لا سالا، جيني راحيل أوستيرله، نهى الشعَّار (برلين: الأكاديمية العربية الألمانية للباحثين الشباب في العلوم والإنسانيات (AGYA)، 2022).

8. أوتو رانك، **رضّة الولادة وأهميتها في التحليل النفسي** (الرياض: دار صفحة 7، 2022).

9. كالي أكونو، كاتي ساندويل، ليدا فوريرو، جارون براون، **من الأزمة إلى التغيير: ما الانتقال العادل؟** (أمستردام: المعهد العابر للقوميات وتحالف العدالة العالمية القاعدية، 2022).

10. إرفنغ غوفمان، **تقديم الذات في الحياة اليومية** (د.م: دار معنى للنشر والتوزيع، 2021).

11. بول ريكور وريتشارد كيرني، **في الترجمة** (القاهرة: دار الأدهم، 2021).

12. باربرة وينكلر وآخرون، **الدراسات العربية وانتفاضات الربيع العربي** (بيروت: دار المشرق، 2019).

13. إعجاز أحمد، **في النظرية: طبقات، أمم، آداب** (الدوحة-بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2019).

14. راناجيت غُها، **التاريخ عند نهاية التاريخ العالمي ومقالات أخرى** (المنامة: مشروع نقل المعارف، 2019).

15. ميشيل مزاوي، **أصول الصفويين: تشيّع وتصوّف وغلوّ** (الدوحة-بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2019).

16. فولكر ميتشلز، **هرمان هيسه: سيرة مصورة** (اللاذقية: دار فواصل، 2018).

17. ليونارد جاكسون، **نزع مادية كارل ماركس: الأدب والنظرية الماركسية** (القاهرة: المركز القومي للترجمة، 2014).

18. ديفيد هيرست، **حذارِ من الدول الصغيرة** (قبرص: دار الرمال للنشر، 2013).

19. سامية محرز، **أطلس القاهرة الأدبي** (القاهرة: دار الشروق، 2012).

20. ديفيد راندال، **المراسلون العظماء** (الرياض: مكتبة العبيكان، 2011).

21. آلان هاو، **النظرية النقدية: مدرسة فرانكفورت** (القاهرة: المركز القومي للترجمة ودار العين، 2010).

22. جيمس. و. إرماتنغر، **الحياة اليومية زمن العهد الجديد** (أبو ظبي: مشروع كلمة، 2010).

23. شيدوميل مياتوفيتش (جمع)، **الخفّ الذهبي: حكايات شعبية من صربيا** (أبو ظبي: مشروع كلمة، 2010).

24. شيدوميل مياتوفيتش (جمع)، **الراعي والأميرة: حكايات شعبية من صربيا** (أبوظبي: مشروع كلمة، 2010).

25. بندكت أندرسون، **الجماعات المُتَخَيَّلة: تأملات في أصل القومية وانتشارها** (دمشق: قدمس للنشر والتوزيع، 2009).

26. فرانكو موريتي، **علامات أُخِذَت على أنها أعاجيب: سوسيولوجيا الأشكال الأدبية** (القاهرة: المركز القومي للترجمة، 2009).

27. جاك مايلز، **إله التوراة: سيرة** (دمشق: دار الفرقد، 2008).

28. مجموعة من الكتَّاب، **السينما والتلفزيون بعد 9/11** (أبو ظبي: مهرجان الشرق الأوسط السينمائي الدولي، 2008).

29. إيان بوروما وأفيخاي مرغليت، **الاستغراب: موجز تاريخ النزعات المعادية للغرب** (الرياض: مكتبة العبيكان، 2008).

30. فرانسيس وين، **رأس المال لكارل ماركس: سيرة** (الرياض: مكتبة العبيكان، 2007).

31. رولد دال، **تشارلي ومصنع الشوكولا-رواية للأطفال** (دمشق: وزارة الثقافة، 2007).

32. جون ف. ورغن، **الأقسام الفاعلة: بناء ثقافات التميّز وتعزيزها في البرامج الأكاديمية** (الرياض: مكتبة العبيكان، 2006).

33. شبلي تلحمي، **المخاطر: أميركا في الشرق الأوسط** (الرياض: مكتبة العبيكان، 2005).

34. دوغلاس روبنسون، **الترجمة والإمبراطورية** (القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، 2005).

35. آلن واطس، **العلاج النفسي بين الشرق والغرب** (دمشق: وزارة الثقافة، 2005).

36. ستانيسلاف غروف، **العقل المحيط: مستويات الوعي البشري الثلاثة وكيف تصوغ حياتنا** (القاهرة: دار العين، 2005).

37. تيودور رايك، **سيكولوجيا العلاقات الجنسية** (دمشق-بغداد: دار المدى، 2005).

38. علي الدشتي، **ثلاثة وعشرون عاماً: دراسة في السيرة النبوية المحمدية** (دمشق: دار بترا، 2004).

39. إعجاز أحمد وإدوارد سعيد، **الاستشراق وما بعده** (دمشق: دار ورد، 2004).

40. هومي ك. بابا، **موقع الثقافة** (القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، 2004).

41. أسامة مقدسي، **ثقافة الطائفية: الطائفة والتاريخ والعنف في لبنان القرن التاسع عشر** (بيروت: دار

الآداب، 2004).

42. **موسوعة تاريخ الأديان**، المجلد الأول، ترجمة بالمشاركة (دمشق: دار علاء الدين، 2003).

43. **موسوعة تاريخ الأديان**، المجلد الثاني، ترجمة بالمشاركة (دمشق: دار علاء الدين، 2003-2004).

44. إدوارد سعيد، **تأملات في المنفى 1** (بيروت: دار الآداب، 2003).

45. إدوارد سعيد، **فرويد وغير الأوروبيين**، ترجمة بالمشاركة (بيروت: دار الآداب، 2003).

46. زينة غندور، **العسل** (بيروت: دار الآداب، 2002).

47. إدموند ليتش، **كلود ليفي شتراوس** (دمشق: وزارة الثقافة، 2002).

48. ليونارد جاكسون، **بؤس البنيوية** (دمشق: وزارة الثقافة، 2002).

49. تيري إيجلتون، **فكرة الثقافة** (اللاذقية: دار الحوار، 2001).

50. تيري إيجلتون، **أوهام ما بعد الحداثة** (اللاذقية: دار الحوار، 2000).

51. آلان كومبس ومارك هولند، **التزامن: العلم والأسطورة والألعبان** (دمشق: دار إيزيس، 1999).

52. نورمان ميلر، **إنجيل الابن** (دمشق: دار الطليعة الجديدة، 1998).

53. إيان واط، **نشوء الرواية** (القاهرة: دار شرقيات، 1997).

54. إريك فروم، **فرويد وبوذا** (اللاذقية: دار نون، 1996).

55. د. ت. سوزوكي، **التصوف البوذي والتحليل النفسي** (اللاذقية: دار الحوار، 1996).

56. تيري إيجلتون، **نظرية الأدب** (دمشق: وزارة الثقافة، 1995).

57. بول روزن، **الحريم الفرويدي** (دمشق: دار كنعان، 1995).

58. ثيودور رايك، **الدافع الجنسي** (اللاذقية: دار الحوار، 1992).

59. ثيودور رايك، **الحب بين الشهوة والأنا** (اللاذقية: دار الحوار، 1992).

60. غريغوري غورين، **البيت الذي شيّده سويفت** (الكويت: وزارة الإعلام-سلسلة من المسرح العالمي (251)، 1991).

61. سبع دراسات، من ترجمة ثائر ديب، عن القرن الأفريقي:

نُشرت هذه الترجمات في مجموعة مؤلفين، **كتاب العرب والقرن الأفريقي: جدلية الجوار والانتماء** (بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2013).

- بيتر وودوارد، "المنافسة الدولية في دول القرن الأفريقي،" 206-181؛
- إيرما تاديا، "تأملات بشأن إريتيريا ونشوء دول جديدة في القرن الأفريقي،" 290-255؛
- عبد الله حمدوك، "الاستثمار العربي في القرن الافريقي: تحديات وفرص وآفاق،"462-415 ؛
- كيداني منغستب، "تحديات البناء الوطني والصراعات في القرن الأفريقي،" 486-463؛
- ميهاري تاديلي مارو، "إثيوبيا وجيرانها: عوائق الاستقرار في المنطقة،"-566 511؛
- ستيف هوارد، "تحطيم عدسة الاستشراق: النظرة المتبادلة بين القرن الأفريقي والعالم العربي،"660-649
- تيكيستي نيغاش، "استخدام الإنكليزية لغة للتدريس وأزمة التعليم في القرن الأفريقى: إثيوبيا نموذجاً،" 794-767.

يصدر قريباً:

62. فرانك. ر. ويلسون، **اليد، وكيف يصوغ استخدامها الدماغ واللغة والثقافة البشرية.**
63. ناتالي زيمون ديفيز، **أَسْفَارُ الأُلْعُبَان: مسلمٌ من القرن السادس عشر بين عالمين.**

الإحالات

[1] دوجلاس روبنسون، **الترجمة والإمبراطورية: نظريات الترجمة ما بعد الكولونيالية**، ترجمة ثائر ديب (القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، 2005)، 38-41.

[2] هومي بابا، **موقع الثقافة**، ترجمة ثائر ديب (القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، 2004).

[3] فالتر بنيامين، **مقالات مختارة**، ترجمة أحمد حسان (الدوحة: أزمنة للنشر، 2007).

[4] المصدر نفسه، 41-43.

[5] عبد الرحيم الشيخ، "الإصغاء إلى الصوت الآخر،" في حسين البرغوثي، **الصوت الآخر: مقدمة إلى ظواهرية التحول**، تحويل عبد الرحيم الشيخ (عمان: الأهلية للنشر والتوزيع، 2020)، 33

[6] جاك دريدا، **أبراج بابل**، ترجمة صبحي دقوري (اللاذقية: دار الحوار للنشر والتوزيع، 2015).

[7] أمبرتو إيكو، **أن نقول الشيء نفسه تقريباً**، ترجمة أحمد الصمعي (بيروت: المنظمة العربية للترجمة، 2012)، 25-26.

[8] المصدر نفسه، 23.

[9] أنطوان برمان، **الترجمة والحرف أو مقام البعد**، ترجمة عز الدين الخطابي (بيروت: المنظمة العربية للترجمة، 2010)، 10.

[10] المصدر نفسه، 11.

[11] بول ريكور، **عن الترجمة**، ترجمة حسين خمري (بيروت- الجزائر: الدار العربية للعلوم ناشرون ومنشورات الاختلاف، 2008)، 43-44.

[12] المصدر نفسه، 34.

[13] Marco Agnetta and Larisa Cercel, "George Steiner's After Babel in Contemporary Translation Studies," *Church, Communication and Culture*, vol. 4, no. 3 (2019): 363369-.

[14] George Steiner, *After Babel: Aspects of Language and Translation* (Oxford: Oxford University Press, 1975).

[15] ثائر ديب، "محنة الترجمة في الثقافة العربية: ترجمة النظرية الأدبية نموذجاً،" **جسور**، العددان 3-4 (2009): 28-29.

[16] المصدر نفسه، 23.

[17] ثائر ديب، "في استعارة العلم جاهزاً ومنفصلاً: ترجمة العلوم بين عصر محمد علي ولحظتنا الراهنة،" **حقول**، العدد 8 (2009): 39-40.

[18] المصدر نفسه، 38.

[19] المصدر نفسه، 42.

[20] المصدر نفسه، 49.

[21] ثائر ديب، "مشاريع الترجمة العربية الحديثة الكبرى،" (ورقة أُلقيت في ندوة "الترجمة في العالم العربي"، المنامة، 11-13 تشرين الثاني/ نوفمبر 2022).

[22] ثائر ديب، "سياسات الترجمة: أبعاد المفهوم وتضاريسه،" **الآداب**، 27 أيار 2021، شوهد في 7 أيلول 2025.

https://2u.pw/GKyqT.

[23] ثائر ديب، "ترجمة العلوم ومصائرها في الثقافات العربية: محاولة في سياسات الترجمة،" **تبين**، العدد 6 (2023): 47-60.

[24] ديب، "سياسات الترجمة،" مصدر سبق ذكره.

[25] ثائر ديب، "الترجمة عبر تباينات القوة: اللغة والهُوية في عالم الترجمة اللامتكافئة،" في **الترجمة وإشكالات المثاقفة**، إعداد وتقديم مجاب إمام ومحمد عبد العزيز (الدوحة: منتدى العلاقات العربية والدولية، ط1، 2014).

[26] المصدر نفسه.

[27] ثائر ديب، "من المترجم الفرد إلى المشروع الثقافي،" **الانتفاضة الشعبية في سورية**، 11 كانون الأول 2016، شوهد في 7 أيلول 2025.

https://2u.pw/CVQMB.

[28] Alessandra Riccardi, *Translation Studies: Perspectives on an Emerging Discipline* (Cambridge: Cambridge University Press, 2002).

[29] ثائر ديب، "الترجمة ودراساتها ونظرياتها: كتب، مجلات، شخصيات،" **المعرفة**، العدد 408 (2003): 250-255.

[30] Linda Smith, *Decolonizing Methodologies: Research and Indigenous Peoples* (London: Zed Books, 1999).

[31] ديب، "مشاريع الترجمة العربية الكبرى الحديثة،" مصدر سبق ذكره.

[32] ديب، "المترجم الفرد والمشروع الثقافي،" مصدر سبق ذكره.

[33] ثائر ديب، "عدة المترجم وعتاده: في ترجمة 'الدراسات الثقافية' والنظرية ما بعد الكولونيالية إلى العربية،" **جسور**، العدد 2 (2009):-77 92، 77.

[34] المصدر نفسه، 79.

[35] للمزيد انظر: إدوارد سعيد، **تأملات حول المنفى ومقالات أخرى**، ترجمة ثائر ديب، (بيروت: دار الآداب، 2004)، 9-12.

[36] ثائر ديب، "ضائعاً في الترجمة،" **عالم الكتاب**، العدد 84 (2015): 32-34.

[37] المصدر نفسه.

[38] إدوارد سعيد، **تعقيبات على الاستشراق**، ترجمة وتحرير صبحي حديدي (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، 1996).

[39] إدوارد سعيد، **الاستشراق: المعرفة، السلطة، الإنشاء**، ترجمة كمال أبو ديب (بيروت: مؤسسة الأبحاث العربية، ط1، 1981).

[40] إدوارد سعيد، **الثقافة والإمبريالية**، ترجمة كمال أبو ديب (بيروت: دار الآداب، ط1، 1997).

[41] ديب، "عدة المترجم وعتاده،" مصدر سبق ذكره، 92.

[42] ثائر ديب، "جئت مصر وشربت من نيلها،" **أوان**،27 كانون الأول 2019، شوهد في 7 أيلول 2025.

https://2u.pw/77ro7.

[43] ديب، "مشاريع الترجمة العربية الكبرى الحديثة،" مصدر سبق ذكره.

[44] ديب، "سياسات الترجمة،" مصدر سبق ذكره.

[45] الطاهر لبيب، "ثقافة اللامعنى،" في **كتاب الموسم الثقافي الثالث والعشرين 2023-2024 "إشراقات"** (المحرق: مركز الشيخ إبراهيم للثقافة والبحوث، 2025).